تجليات الذات في شعر أبي إسحاق الألبيري وأثرها في نقده الإجتماعي

طالب الدكتوراه محمد دهش حياوي عزاوي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران

mr.mohammed.569@gmail.com

الأستاذ المشارك الدكتور أمير مقدم متقي (الكاتب المسؤول)

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران

a.moghaddam@ferdowsi.um.ac.ir

الأستاذ المساعد الدكتور بلاسم محسني

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة فردوسي مشهد، مشهد، إيران

mohseni@um.ac.ir

The motives of social criticism in the poetry of Abu Ishaq Iberian

PhD student Mohammed Dahash Hayyawi Azzawi

Department of Arabic Language and Literature , college of Arts and Humanities , Ferdowsi University of Mashhad , Mashhad , Iran

Dr. Amir Moqaddam Mottaqi (corresponding author)

Associate Professor , department of Arabic Language and literature , college of Arts and Humanities , Ferdowsi University of Mashhad , Mashhad , Iran

Dr Balasem Mohseni

Associate Professor , department of Arabic Language and literature , college of Arts and Humanities , Ferdowsi University of Mashhad , Mashhad , Iran

الملخص:

ان المناخ الاسري الديني الذي نشأ فيه وتربى عليه ابو اسحاق الالبيري، كان له دور كبير في صقل نفسيته، وتهذيبها، وغرس القيم السّلوكيّة العُليا فيها، بالإضافة الى ان دراسته الفقهية كان لها فضل في إضفاء مسحة دينية على شخصيته وأخلاقه وخطابه الشعري، فطبعته بطابعها وجعلت منه شخصية ملتزمة وقوية، ذات تأثير إيجابي في المجتمع.

وقد افاد الالبيري من تنشئته الدينية وثقافته القرآنية ووظفهما خير توظيف في نقده الاجتماعي، لذلك كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من ابرز الاسس التي اعتمدها الشاعر في نقده الاجتماعي، فأمدته بخطاباته الرنانة، كونهما حجة بلاغية، لا تستطيع العقول البشرية ردها.

فمضى الالبيري يدعو الناس الى العودة الى الله ويذكرهم بان هناك حياة باقية خالدة يتوجب السعي للفوز بها، وان هذه الحياة فانية يقف الموت على بابها بالمرصاد، منقطعا للقول في هذا الغرض.

وتكاد تكون تجليات الذات في شعر ابي اسحاق الالبيري واضحة الاثر في نقده الاجتماعي، ولا تحتاج الى جهد كبير لتمييزها، فقد رصدناها في محاور متعددة من شعره، وكانت واضحة في عدة محاور وهذه المحاور هي: نشأته الدينية ومنهجه الزهدي، وحبه للعلم والمعرفة وعمله في سلك القضاء، وعدم تكيفه مع البيئة المحيطة به.

الكلمات المفتاحية: الالبيري، النقد الاجتماعي، الذات.

Abstract:-

Whoever reads the poet abu ishaq al-iberi increases his clear interest in the social aspect. as he saw himself as directly responsible and real eagerness and standing firm in the face of the times that massacred the Andalusian Islamic because he is a jurist and he has to enjoin good and forbid evil.Abu Ishaq al-lberi was an honest social critic, who had undertaken that exhausted the Andalusion society at that time.He employed it in his poetic discourse seeking to save the society from it or inciting him to adhere to social values and norms in order to equalize and contribute more to the strengthening of the network of social relations also rejection of value and norms against them because of the damage it causes to its people.

According to the above-mentioned details , we can say that the lberian dependence on social critism in his poetry and his views motivations that prompted him to adopt this approach. These motives are the ruin of the city of al-Bireh. the bad political and economic conditions also the deteriorating social reality.

Key words: Alberi, social criticism, self.

المقدمة:

ترتبط الذات بحقيقة الانسان، ووعيه وشخصيته، فهي البناء الاساسي الذي يرى فيه الانسان نفسه، بأنه كائن منفصل ومتميز عن الاخرين عند تفاعله مع المجتمع الذي يعيش فيه، وكيف ينظر الى نفسه بوصفه شخصا فريدا له خصوصيته وكيانه المستقل، من خلال خبراته في الحياة.

والمقصود بذاتية الشاعر ابي اسحاق الالبيري حقيقته وهويته الشخصية، بوصفه انسانا متميزا، او موهوبا، او بوصفه كائنا اجتماعيا، تنهض به امكانية التفرد، بالإضافة الى كونه عضوا يحيا في جماعة انسانية، ينتمي اليها ويدخل في سلسلة من التنظيمات التي اوجدتها ضرورة الاجتماع البشري في مرحلة معينة من مراحل التطور الاجتماعي، اي تفاعل الذات الشاعرة مع قضايا المجتمع، بالإضافة الى قضاياه الذاتية الخاصة، والتي انحصرت في القضايا الدينية والانسانية[1].

وكان الالبيري يرى نفسه مسؤولا مسؤولية مباشرة للتصدي لقضايا المجتمع بصدق وحرص حقيقيين، والوقوف بحزم بوجه الآفات التي نخرت المجتمع الاسلامي الاندلسي آنذاك، فهو لم يكن يوماً منعزلاً أو يعيش على الهامش، بل كان له حضوره اللافت، وصلاته الوثيقة بأقطاب المجتمع، هيأت له أن يكون شعره مسموعاً بين الناس، ذائعاً سارياً، فعبّر في شعره عن اتجاه يجعل ركائز الإسلام ومعتقداته أسساً ينطلق منها لَتكون الخط الناظم لموضوعات نقده الاجتماعي في عصر ملوك الطوائف، الذي كان عصر تفكك اجتماعي وضعف سياسي.

ومن خلال تتبعنا لحياة ابي اسحاق الالبيري، يمكننا رصد اهم المرتكزات التي تتشكل منها ذاتيته، والتي يمكن اجمالها بالمحاور الاتية:

- أولاً: نشأته الدينية ومنهجه الزهدي.
- ثانيا: حبه للعلم والمعرفة
- ثالثا: عمله بالقضاء.

- رابعاً: عدم تكيفه مع البيئة المحيطة به.

وعلى وفق المحاور السابقة سيقوم الباحث بتفصيل كل محور من هذا المحاور وذلك من خلال النقاط الاتية:

أولاً: نشأته الدينية ومنهجه الزهدي:

يؤثر الدين بشكل كبير في صياغة بُنية الفرد وتنمية شخصيته، وتجسيد عاداته وتقاليده والقوانين المتحكمة به، ومن المؤكد ان الدين كان له اثر كبير في الواقع الاسري لابي اسحاق الالبيري، وما التزامه الديني الا انعكاسا حقيقيا للبيئة العائلية التي نشأ فيها.

فقد ذكرنا سابقا ان توجهات ابي اسحاق الالبيري كانت دينية، منذ فتوته المبكرة، فقد عكف على دراسة الفقه وأصوله، وتبحر في العلوم الشرعية واشتهر بالقراءات القرآنية، فكان من جملة الفقهاء الشّبّان، الذين يشقون طريقهم بجد واجتهاد، فحاز على مكانة متميزة بين الفقهاء وطلبة العلم، يروي عن العلماء، ويأخذ طريقه إلى ممارسة الإقراء والتدريس والرواية والتعليم.

لذلك غلبت على شعره النزعة الزهدية، فكان فارس الميدان في هذا الاتجاه وجرى فيه الى نهايته، وجعل منه فنا ومذهبا اديبا واخلاقيا، حتى صار له ديوان كلّه في الزهد والوعظ، فقد حوى ديوانه صبغة دينية جلية، عكست توجهه الديني الروحاني الذي تمثله في كل فكرة عرضت له، او موضوع جادت قريحته في استجلائه، فكان ديوانه في جملته مصبوغا بصيغ دينية خالصة.

كما يعكس منهج الالبيري الزهدي ثقافته التاريخية والدينية الواسعة وعمق نظرته للحياة وكثرة تجاربه وقد ظهر ذلك واضحا جليا في شعره الذي كثرت فيه الحكم الصائبة والامثال السائرة[٢].

والزهد عند الالبيري لم يظهر نتيجة نشأته الدينية فقط وانما كانت هناك بواعث اخرى عملت على تقوية هذا الاتجاه فالأحوال السياسية والاجتماعية السيئة التي مرت بها الأندلس وشيوع الفتن وكثرة الحروب وانغماس المجتمع بالمتع والملذات كان لها دور في ذلك أيضاً.

فالنزعة الدينية التي انتهجها الالبيري منذ نشأته ومنهجه الزهدي هما اللذان زيّنا له النفور من الحياة الدنيا من جهة، وهما اللذان أوحيا له بذلك الواقع الفاسد الذي يعيشه اولئك البشر الذين كانوا يعيثون في الأرض فساداً من جهة ثانية، ليتحول الالبيري من شاعر يتخيل، إلى ناقد يحلل ويعلل، ومن ثم إلى قائد ثوري متمرد على الواقع السياسي والاجتماعي.

ومن خلال مطالعتنا لحياة الالبيري ونشأته يمكننا ان نؤشر لثلاث قضايا مهمة كانت السبب الرئيس وراء توجهه الديني ونزعته الزهدية. وهذه القضايا هي:

- وعيه الديني الاصيل المتجذر في شخصيته:

وهذا نابع من المناخ الديني الاسري الذي نشأ فيه وتربى عليه الالبيري، والذي كان له دور كبير في صقل نفسيته، وتهذيبها، وغرس القيم السّلوكيّة العُليا فيها، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، كان لدراسته الفقهية فضل في إضفاء مسحة دينية على شخصيته وأخلاقه وخطابه الشعري. فطبعته بطابعها وجعلت منه شخصية ملتزمة وقوية، ذات تأثير إيجابي في المجتمع.

- الرغبة في الخلاص من براثن الآثام التي وقع بها المجتمع:

ان ما شهده المجتمع الاسلامي الاندلسي من نزعات اجتماعية منحرفة- عن القيم والمثل العليا التي نادى بها الاسلام، وسعى الى غرسها في النفوس، والتي يترتب عليها سعادة الفرد والجماعة- من انتشار الموبقات والفسق والفجور، جعل من النزعة الزهدية- لدى بعض افراد المجتمع - ردة فعل طبيعية، للنجاة بأنفسهم، خاصة اذا ما علمنا ان الزهد سمة فردية مطلقة، فظهرت طائفة اخرى رافضة لتلك الافعال، وتيار معاكس انكر على اولئك انحرافهم وتمسكهم بالحياة الفانية، فاتجهوا الى حياة الزهد والتقشف واداروا ظهورهم للحياة الدنيا الزائلة ومتعها، رغبة في الخلاص من براثن الآثام التي وقع فيها غيرهم ممن غرتهم الحياة الدنيا، فكان ذلك بالنسبة لهم السبيل الوحيد والطريقة المثلى للفرار الى الله من تلك المفاسد، والبراءة منها، فازدهر شعر الزهد في الأندلس، ونظمه الشعراء بدافع دينيّ، وكان من جملة هؤلاء ابو اسحاق الالبيري.

- الرغبة في وعظ الناس ونصحهم:

يسعى الانسان دائماً الى الكمال، سالكا طرقا شتى لتحقيق ذلك، ومن هذه الطرق وعظ الناس ونصحهم، والوعظ هو الكلام الحسن المنضبط بضابط الشرع الذي يذكر الناس بالله، ويوقظ وازع الإيمان في قلوبهم، ويأمرهم بالخير ومكارم الأخلاق، وبطبيعة الحال فإن كل عالم وكل فقيه هو واعظ، لذلك نجد ان ابا اسحاق الالبيري سلك هذ المسلك مع مجتمعه، فمضى يدعو الناس الى العودة الى الله ويذكرهم بان هناك حياة باقية خالدة يتوجب السعي للفوز بها، وان هذه الحياة فانية يقف الموت على بابها بالمرصاد، منقطعا للقول في هذا الغرض، حتى صار لديه ديوان كلّه في الزهد والوعظ، ومن هذه المواعظ والحكم قوله[٣]:

نَحنُ في مَنزِلِ الفَناءِ وَلَكِن ... هُوَ بابٌ إِلى البَقاءِ وَسُلَّم

وَرَحى المَوتِ تَستَديرُ عَلَينا ... أَبَداً تَطحَنُ الجَميعَ وَتَهشِم

وكذلك قوله[٤]:

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيّامُ فَتّا ... وَتَنحِتُ جِسمَكَ الساعاتُ نَحتا

وَتَدعوكَ المَنونُ دُعاءَ صِدقٍ ... أَلا يا صاحِ أَنتَ أُريدُ أَنتا

والزهد في الدنيا لا يستقيم الا لكل نفس كبيرة ترفعت عن الرذيلة والفساد فهو خير معين للتفرغ للعظائم واقوى محقق لمعاني القوة في النفس والعقل والبدن واكبر عامل على صفاء القلب وصونه والصدع بالحق ومقاومة الشر[٥].

ومن يطالع ديوان الالبيري يجد ان النزعة الزهدية التي انتهجها، هي المهيمن على نصوصه الشعرية، فلا تكاد تخلو منها قصائده، وقد افاد في ذلك من تنشئته الدينية وثقافته القرآنية ووظفهما خير توظيف في نقده الاجتماعي، لذلك كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[٦] من ابرز الاسس التي اعتمدها الشاعر في نقده الاجتماعي، فأمدته بخطاباته الرنانة، كونهما حجة بلاغية، لا تستطيع العقول البشرية ردها.

فقد استغل ابو اسحاق الالبيري ما للقرآن الكريم من مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، ولما له من قدرة تأثيرية تأسر النفوس، وتستولي على المشاعر، فتمثل بعض آياته في شعره

لفظاً ومعنى واسلوباً، واستوحى كثيراً من قصصه وعبره، وافاد من طاقاته التصويرية، وتراكيبه الفنية[٧] في مخاطبة الناس وتوجيه المجتمع وتذكيرهم بالله سبحانه وتعالى، ونقده للمظاهر السلبية التي عمت المجتمع الاندلسي آنذاك، ومن ذلك قوله:

وَسَـــل مِـــن رَبِّـــكَ التَّوفيـــقَ فيهـــا ... وَأَخلِـــص في السُـــؤالِ إِذا سَـــأَلتا

وَنـــادِ إِذا سَـــجَدتَ لَـــهُ اِعتِرافـــاً ... بِمـــا نـــاداهُ ذو النـــون بـــنُ مَتّـــى

وَلازِم بابَـــهُ قَرعـــاً عَســـاهُ ... سَـــيفتَحُ بابَـــهُ لَـــكَ إِن قَرَعتـــا

وَأَكثِـــر ذِكـــرَهُ في الأَرضِ دَأبـــاً ... لِتُـــذكَرَ في السَـــماءِ إِذا ذَكَرتـــا[٨]

فقد استمد الالبيري من الآية القرآنية: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٩]. والآية القرآنية: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[١٠]. خطابا رنانا مفعما بالمعاني الرائعة والعبر والمواعظ، للذين ابتعدوا عن الله، مطالبا إياهم بالندم على افعالهم، وعدم تضييع الوقت واستثماره، بصدق التوبة والخوف من خطر المعاصي، وبذلك سيجدون ابواب الله مفتوحة، وان المؤمن كلما ذكر الله بطاعته فيما امره وفيما نهاه، سيذكره الله حتما بمغفرته.

ومن يطالع قول الالبيري[١١]:

وَراقِـــبِ إِلَهَـــكَ في حِزبِـــهِ ... فَحِـــزبُ الإِلَـــهِ هُـــمُ الغـــالِبون

يجده يطوع نصه وزنا وقافية ودلالة لينسجم والآية القرآنية ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١٢] لفظا ومعنى، فالشاعر يحث الناس على الالتجاء الى الله ومراقبته في "حزبه" فهؤلاء فقط هم "الغالبون" من خلال ابداع لحظات ايمانية مضيئة بنور القرآن الكريم، وظفها في نصه الزهدي، واتجه بها نحو المتلقي.

وتبرز معاني الآية الكريمة ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[١٣] في قول الالبيري[١٤]:

إِنّـــي لَأَشـــكُرُهُ عَلـــى آلائِـــهِ ... فَهُـــوَ الـــوَفِيُّ بِعَهـــدِهِ لِلشّـــاكِرِ

كما نجده يستوحي معنى قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٥] في البيت الشعري القائل[١٦]:

وَلا تَحـــزَن عَلـــى مـــا فـــاتَ مِنـــها إِذا مـــا أَنـــتَ فِي أُخـــراكَ فُزتـــا

وتتجلى ثقافة الشاعر القرآنية في قوله ايضا:(١٧)

ثَقُلـــتَ مِـــنَ الـــذُنوبِ وَلَســـتَ تَخشـــى لِجَهلِـــكَ أَن تَخِـــفَّ إِذا وُزِنتـــا

فنجد الشاعر قد استمد نقده للمذنب في البيت الشعري سالف الذكر من قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾(١٨).

فمن يطالع قصائد الالبيري يجدها قد حفلت بالألفاظ القرآنية مثل: (الجنة - النار - الاخرة - الرحمة- التوبة- التقوى - الذكر - الشكر - الحمد - الطاعة - الصلاة - الهداية - الابتهال - الدعاء- الحلال - الحرام - الايمان) التي تكشف عن تقوى الشاعر وايمانه العميق بقيم الاسلام ودعوته الاخرين من ابناء مجتمعه الى العمل بها(١٩).

فقد استوحى الالبيري النص القرآني بآياته والفاظه وفواصله ومعانيه وصوره واحداثه وقصصه استيحاء فاعلا، يكشف عن افكاره وآراؤه المختلفة، وينقل القارئ من جو الواقع المعيش الى اجواء روحية وتراثية عميقة، وعلى كثرة الاشارات التي اقتبسها من القرآن الكريم نجد ان اقتباسه لم يكن نصيا، وانما جاء اشاريا، وقد فسر بعضهم ان هدفه من وراء ذلك هو اجلالا وتبجيلا للقرآن الكريم(٢٠).

فمما لا شك فيه ان الالبيري يحاول ان يكثف نقده الاجتماعي من الاقتباسات القرآنية قصد التأثير في المتلقي لما لهذا الكلام من وقع على النفس لذلك لا تكاد تخلو قصائده من الاقتباس القرآني.

فالالبيري لم يكن شاعرا فحسب، بل كان فقيهاً ورعاً زاهداً، نبذ الدنيا وملذاتها، هيمنت الرؤية الشعرية المنبثقة عن موروثه الديني على مساحات واسعة من شعره فلم يكتفِ بالاقتباس من القرآن الكريم، وانما نجده قد تعلّق قلبه بالحديث النبوي الشريف، الذي تمثله في أشعاره، نظرا لما يتمتّع به الحديث النبوي الشريف من مستوى لغوي رفيع، إلى جانب المكانة التي يحتلها كونه مصدر التشريع الثاني في الإسلام فضلاً عن مكانته المقدّسة في نفس رجلٍ تقي ورع متدين، حيث ترك في شعره ومؤلفاته بصماتٍ واضحة المعالم، فقد تشرّب شعره الألفاظ والمعاني الدينيّة التي أغنت خطابه الشعري، وشحنته بدفق إيحائي عميق،

يُثري النّص ويرسخه في النفس، ويظهر لقارئه مدى تأثّره بالحديث النبوي[٢١].

كما انه ليس غريباً أن يقتبس الإلبيري من الحديث النبوي الشريف، ويستمد منه مادته التي تعينه على مواصلة نقده الاجتماعي، وهو المدرك لمكانة الحديث النبوي في المجتمع المسلم، وقدرته على خلق القاعدة الرصينة لثقافة الفرد والمجتمع الاسلامي، ويمكن ان نتلمس ذلك في قوله[٢٢]:

وَيَحمِلُني إِلى الأَجداثِ صَحبي ... إِلى ضيقٍ هُناكَ أَو اِنفِساحِ

فَأُجزى الخَيرَ إِن قَدَّمتُ خَيراً ... وَشَرّاً إِن جُزيتُ عَلى اِجتِراحي

فقد استوحى الالبيري في بيته الشعري سالف الذكر قول رسول الله ﷺ: ((القَبْرُ إمّا روضة من رياض الجنةِ و إمّا حُفْرة من حُفرِ النَّار))[٢٣] فوظّف الشاعر لفظة (ضيق) المعبّرة عن حفرة من حفر النار ولفظة (انفساح) المعبّرة عن روضة من رياض الجنة، لذلك جاء اقتباسه في البيت الشعري متوافقاً مع المعنى الوارد في الحديث، فكانت هذه المقابلة بمثابة دعوة جادّة لاغتنام الفرصة باستغلال الحياة الدنيا في فعل الخير لنيل الخير في الآخر[٢٤].

وقد تعددت الاشارات الواضحة والصريحة لبعض الاحاديث النبوية الشريفة في شعر ابي اسحاق الالبيري، كما في قوله:

وَإِلَيهِ ضَراعَتي وَاِبتِهالي ... في مُعافاةِ شَيبَتي مِن جَهَنَّم[٢٥]

فواضح من هذا البيت أنّ الشاعر يستحضر حديث الرسول الكريم الذي يقول فيه: أخبرني جبريل عن الله تعالى: ((إني لأستحيي من عبدي وأمَتي يشيبان في الإسلامِ ثم أُعذّبُهما))[٢٦] وهذا تلميح واضح من الالبيري الى المجتمع الاندلسي للحياء من الله والعودة اليه، فرب كريم لطيف الى درجة انه يستحي من ذي الشيبة البيضاء، فالأولى بذي الشيبة ان يستحي منه ويطلب العفو والصفح والمغفرة.

وقد دأب الالبيري على عدم تفويت أي فرصة لتوظيف الاحاديث النبوية الشريفة في توجيه النقد لمجتمعه، وتوجيهه الوجهة الصحيحة، لذلك نجده يحث الناس على اغتنام فترة الشباب وهي فترة الحيوية والنشاط، في عمل الخير، لأنَّ الموت يُداهم الصغير والكبير، وقد أشار إلى هذا المعنى في قوله[٢٧]:

لَيَقبحُ بالفتى فِعل التصابي وأقبحُ منهُ شيخٌ قد تفتى

وهي اشارة واضحة الى الحديث النبوي الشريف الذي يقول: ((لا تزول قدما عبدٍ مؤمن يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمُرِه فيمَا أفناهُ وعن جسدِه فيما أبلاه، وعن علمِه ماذا عملَ فيه، وعن مالِه من أين اكتسبهُ وفيما أنفقه وعن حبنا أهلَ البيت))[٢٨].

ويستمر الالبيري في توظيف الاحاديث النبوية في نقده للمجتمع، ودعوته له بالعودة الى الله تعالى والمسارعة لاستثمار الوقت في العمل الصالح، وعدم تضييع الوقت بالتسويف والمماطلة، يتضح ذلك في قوله[٢٩]:

وإن أوتيتَ فيه طويلَ باعٍ وقال الناسُ إنك قد سبقتا

فلا تأمنْ سؤالَ الله عنه بتوبيخٍ؛ علمتَ فهل عملتا؟

فهو يدعو إلى ضرورة اقتران العلم بالعمل، فالعلم أصلٌ والعمل فرعه، والعلم شجرة والعمل ثمرها، وزكاة العلم العمل، فالعلم بلا عمل فساد، والعمل بلا علم جهل، فما قيمة العلم بلا عمل.

فقد سعى ابو اسحاق الالبيري من خلال توظيف الرافد الديني - متمثلا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف - في شعره الى تحريض الناس على بعث التراث الانساني والعقيدي، والحضارة الدينية وروافدها الفكرية والتاريخية المتجذرة في كيانها، فقد تأثر بالقران الكريم وصوره، واستمد بعض ابداعاته من احاديث الرسول ﷺ، ومن المعاني الاسلامية السامية، من خلال تصويره القيم والمثل الخلقية التي اشرنا اليها سابقا، لذلك جاءت الصور التي رسمها معبرة عن سعة اطلاعه، وثقافته الاسلامية، التي وظفها لخدمة النقد الاجتماعي، الذي حفلت به قصائده.

فقد كرّس الشاعر ابو اسحاق الالبيري شعره ليكون وسيلة تربوية وخلقية تكشف عن حقيقة الوجود الإنساني الذي ينبني على العلوم الشرعية، والتي بفضلها يرتقي الإنسان ويتخلّص من الإغراءات المادية الزائفة والزائلة، إلى صفاء الرّوح بالإيمان بالله والإخلاص له ابتغاء مرضاته، فحمل على عاتقه إشاعة المثل الدينية النبيلة، وتربية الناس عليها في واقعه الاجتماعي الذي عانى من نسيان تعاليم الدين الحنيف وكثرت فيه الخلاعة والمجون.

لذلك نجد الالبيري ومن خلال نشأته الدينية الملتزمة ومنهجه الزهدي، لا يألو جهدا ولا يدخر وسعا في الدعوة الى الزهد في الدنيا والحض على القناعة والكفاف، وترك المطارف والمطي لأهلها من الأغنياء والمشي بدل الركوب، والرضى بما قسم الله، لأنّ الحال لا يدوم للفقير والغني، فكل ذلك يترك أثره على الجانب الأخلاقي مما يبرز الشخصية في كمالٍ أخلاقيّ متناغم مع كل فضائل الخير والصلاح، يتضح ذلك في قوله[٣٠]:

فَخُذِ الكَفافَ وَلا تَكُن ذا فَضلَةٍ ... فَالفَضلُ تُسأَلُ عَنهُ أَيَّ سُؤالِ

وَدَعِ المَطارِفَ وَالمَطِيَّ لِأَهلِها ... وَاقنَع بِأَطمارٍ وَلُبسِ نِعالِ

فَهُمُ وَأَنتَ وَفَقرُنا وَغِناهُم ... لا يَستَقِرُّ وَلا يَدومُ بِحالِ

فقد اتجه ابو اسحاق الالبيري الى وعظ اناس وتحذيرهم من الاغترار بالدنيا الزائلة وحثهم على التزود الى الأخرة، فكان شعره من نوع الشعر الذي يطرح خطابا اجتماعيا يقف من المجتمع- في لهجة قلقة مغتربة- موقفا رافضا لواقعهم المدنس بالتهتك والمفاسد والنفاق والخلال الوضيعة[٣١].

وخلاصة القول ان الالبيري كان شاعرا نشأ في اسرة ملتزمة دينيا، فأثرت تلك التنشئة على شخصيته، فانتهج منهجا زهديا جعله يحسن توظيف قصائده ويطوعها لغايات اجتماعية ناقدة، فجاءت كلسان صدق في التعبير عن نشأته الزهدية وواقعه الديني المتشدد، وقد ابلغ في التوصيل والتأثير على المتلقي، وزاد من بلاغته اتكاؤه على اهم مصادر الفصاحة والبلاغة، القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكانت مميزة في بلاغتها وتعبيرها وبساطة لفظها، وألفتها لدى المتلقي، ما اكسبها مسحة جمالية لافتة، كما انجذب اسلوبه في جانب كبير منه الى اسلوب الوعاظ والخطباء، واتسم بالسهولة وتجنب الغريب، كما برئ من عدوى التصنع والتكلف الذي اصيب به كثير من الشعراء[٣٢].

وبهذا نستطيع القول ان ذاتية ابي اسحاق الالبيري كانت ايجابية متعايشة مع الواقع والمجتمع ولم تكن متقوقعة على نفسها[٣٣]، وان شعر الالبيري لم يكن تزييفا للواقع بل التزام بالتعبير عن واقع الحياة[٣٤]، فالمتتبع لقصائده يجدها تدل على ان زهده كان ايجابيا، يدل على مدى مشاركته في الحياة الاجتماعية، فقد كان شعره صدى لما يتردد في نفوس الشعب الاندلسي من آلام وآمال، وما يعانونه في حياتهم المضطربة ومجتمعهم المعقد، وقد

رزق الالبيري حظا من الحب والاحترام في حياة الناس فكانت قصائده لمن يقرأها او يسمعها بمثابة عالم روحي تجعله في حالة انجذاب صوفي نحو الله عز وجل[٣٥].

ثانياً: حبه للعلم والمعرفة:

طلب العلم في الإسلام فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، وقد سعى الالبيري الى اداء هذه الفريضة وتطبيقها والحث عليها، بكل ما اوتي من جهد وطاقة، فمن خلال مطالعتنا لحياته، يتبين لنا انه كان محبا للعلم والمعرفة، متعلقا بالعلوم الشرعية، متبحرا بها، حتى صار فقيها.

ولم يكن الفقيه آنذاك، عالم دين وحسب، وانما كان واسع الثقافة متشعب الوان المعرفة، آخذا من كل منها بطرف، مشاركا بالأدب من الشعر والنثر، الا ان الصفة العلمية الاولى التي يتحلى بها كانت صفة الفقيه[٣٦].

وقد ادرك الالبيري قيمة العلم ودوره في بناء المجتمع وتقدمه، وقد تجلى ذلك من خلال مواضيع كثيرة اشتمل عليها ديوانه جاءت تحض على العلم[٣٧]. ومنها قوله في قصيدة يخاطب فيها ابنه أبا بكر[٣٨]:

أبـــا بـكـــرٍ دَعَوْتُـــكَ لـــو أَجَبتـــا ... إلـــى مـــا فيـــه حَظُّـــكَ إن عَقَلْتـــا

إلـــى علـــمٍ تكـــونُ بـــه إمامـــاً ... مُـــطاعاً إن نَهَيـــتَ وإنْ أَمَرْتَـــا

وتـــجلو مـــا بعينـــك مِـــنْ عَشَـــاها ... وتَهْـــديكَ الســـبيلَ إذا ضَـــلَلْتَا

وتحمـــل منـــه في نـــاديك تاجـــا ... ويكســـوك الجمـــال إذا عريتـــا

فهو يحض ولده أبا بكر في الابيات السالفة، ويحفزه على طلب العلم، والجد فيه والتزود والنهل منه، ذاكرا له فضل العلم وما يكسب صاحبه منه، فالعلم عند الالبيري كالحقيقة، تجلو ما بعين الانسان من الظلمة وتوجهها السبيل القويم فتسمو بالهمة في طلب العلم إلى الثريا، حتى يغدو العلم على رأس حامله بارزا مهابا؛ بوصف العلم تاجا يرفع من قدر صاحبه بين قومه، ثم يخبره بأن للعلم لذة لو ذاق حلاوتها لأنسته عن كل لذة سواها[٣٩]:

فـــلو قـــد ذُقْـــتَ مـــن حلـــواه طَعمـــاً ... لآثَـــرْتَ الـــتـــعلُّمَ واجتهـــدتا

ولـــمْ يَشـــغلكَ عنـــهُ هَـــوىً مُطـــاعٌ ولا دُنيـــا بِـزُخْـــرُفِها فُتِنتـــا

ولا ألـــهاكَ عنـــهُ أنيـــقُ رَوْضٍ ولا خِـــدْرٌ بِـرَبْـرَبِـــهِ كَلِفتـــا

فلذَّة العلم من أعظمُ اللَّذات، ففي العِلْم لذَّة لا تُوازيها لذَّة، وشهوته من أعظم الشَّهوات، وحلاوته تفوق كل حلاوة، وطعمه يعلو على كل الطعوم، وأصحابه هم المسرُورون وهم الفرحون، وأهله هم المنعمون، ومن جرب العلم لم يشغله عنه شيء، حتى الفتاة الجميلة في خدرها.

وطالب العلم لا يجد راحةً ولا أُنسًا ولا نشوةً إلَّا بالعلم وفي العلم، حتى يألف فيه الوحدة بلا وحشة، ويفارق لأجل تحصيله الأهل والولد، وينفق من أجله المال والوقت، ويصرف فيه العمر، فيأنس بالكتاب ويستوحش من الناس الذين يقطعونه عنه، فلا يجد الإنسان لذة إلا في المطالعة ولا أنسا إلا مع الكتاب، فحين يقضي الساعات الطوال مع الكتاب، ينسى مغريات الدنيا، وحتى الطعام والشراب[٤٠]:

فَـــقوتُ الـــروحِ أرواحُ المعـــاني ولـــيس بـــأنْ طَعِمـــتَ وأن شَـــرِبْتا

ويسترسل الالبيري في بيان آثار العلم على صاحبه، فيصفه بالسيف القاطع الذي يصيب به قلب عدوه[٤١]:

هُـــوَ العَضْـــبُ المُهنَّـــدُ لـــيسَ يَنبُـــو تُـــصِيبُ بِـــهِ مَقاتـــلَ مَـــنْ ضَـــربتا

فخير ما يورثه الأب لابنه هو العلم النافع، فالمال والجاه يزولان، أما العلم فبه يكون إمامًا مطاعًا وكلمته مسموعة، وبالعلم تزول الظلمة عن العيون ويهتدي به إلى الطريق الصحيح[٤٢]، فهو يقول[٤٣]:

يَـنَـالُـــكَ نَفعُـــهُ مـــا دُمْـــتَ حَيـــا ويَـبـــقى ذُخْـــرُهُ لـــكَ إنْ ذَهَبتـــا

فالشاعر يؤكد على ازلية العلم وبقائه بعد فناء الانسان وموته[٤٤]. ثم يطلب من ابنه المواظبة والجد في طلب العلم، وأن يعمل بهذا العلم؛ لأن الله سائله يوم القيامة عن هذا العلم، هل عمل به أم ضيّعه؟[٤٥]

فـواظِـبـــهُ وخـــذ بالجِـــدِّ فيـــهِ فـــإنْ أعطاكَـــهُ اللهُ أخـــذْتا

وانْ أُوتيـــتَ فِيـــهِ طَويـــلَ بـــاعٍ وقـــال الـــناسُ إنَّـــكَ قـــد ســـبقتا

فـــلا تـأمـــنْ سُـــؤالَ اللهِ عنـــهُ بتـــوبيخٍ : عَلِمـــتَ فهـــل عَمِلْتـــا

ونلاحظ انه ينهي نصيحته بصيغة النهي "فلا تأمن"، وهذا النهي موجه لابنه كي يعمل بعلمه حتى لا يسأله الله يوم القيامة عن علمه وماذا عمل به.

ويخلص بعد ذلك إلى العلم الحقيقي الذي ينبغي أن يسعى إليه كل ساع، وهو ذلك العلم المقترن بتقوى الله عز وجل والإحسان، فهو الذي يأخذ بيد صاحبه إلى النجاة، فيقول(٤٦):

فـــرأسُ الـــعِلمِ تَقـــوى اللهِ حقـــاً ولـــيس بـــأن يُقـــال: لقـــد رأســـتا

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات التركيز على ضمير المخاطب، لأن النصح يكون موجها من شخص مجرّب في الحياة إلى شخص آخر، فاستعمل "كاف المخاطب وتاء المخاطب مرة بعد أخرى.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى المقارنة بين الجهل والعلم، وبين المال والعلم، فيقول(٤٧):

ولـــيسَ لِجاهـــلٍ في النـــاس مَعـــنىً ولـــو مُـــلكُ العـــراقِ لـــهُ تـــأتَّى

ســـينطقُ عنـــكَ عِلمـــكَ في نـــديٍ ويُـــكتبُ عَنـــكَ يومـــا إنْ كتبتـــا

ومـــا يُـــغنيكَ تشـــييدُ المبـــاني إذا بـــالـــجهل نَفْسَـــكَ قـــد هَـــدَمْتا

جَعَلْـــتَ المـــالَ فـــوقَ العِلـــمِ جهـــلاً لَـــعَمْرُكَ في القضـــيةِ مـــا عَـــدَلْتَا

وبيـــنهما بِـــنَصٍّ الـــوَحيِ بـــونٌ سَتَـــعلمُهُ إذا (طـــه) قَرأتـــا

لـئـــن رفـــعَ الغـــنيُّ لـــواءَ مـــالٍ لأنـــت لـــواء عِلْمِـــكَ قـــد رفعتـــا

وإن جلـــسَ الغـــنيُّ علـــى الحشـــايا لأنـــتَ علـــى الكواكـــب قـــد جلســـتا

فهو يؤكد ان هناك فرق عظيم بين الجاهل والعالم، ولو ملك الجاهل العراق بخيراته فالعالم الذي يعمل أفضل منه، ومن يعد المال مقدم على العلم، فهو ليس عادلا في ذلك، فهناك فرق عظيم بينهما، فالإنسان في سورة طه يطلب الزيادة من العلم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤٨). كما يطلب الالبيري من ابنه ألا يغتر بالغني الذي يجلس على الحشايا والفراش الوثير الفاخر، فأنت بعلمك تجلس على لواء العلم الذي يرفع صاحبه فوق الجميع(٤٩).

ان من يطالع الابيات السابقة يجد ان الالبيري جعلها في قالبها العام مؤطرة لقيمة العلم ودوره الفاعل في سمو الانسان، ناصحا بالأخذ بأسباب العلم ليغدو صاحبه مطاعا لدى الناس في نهيه وامره، كما ان الفكرة الرئيسة تغدو في فكر الالبيري فيما يختص بالعلم مرتكزا وغاية، وهو تواشج العلم بالعمل "عَلِمتَ فهل عَمِلْتا"، وتشكلهما معا، هذا التشاكل هو الذي يعطي للعلم القيمة والاهمية، ويعطي لحامله العامل به سمة تبعية الناس له بصورة مطلقة(٥٠). لذلك نجد ان الالبيري يركز على هذا التشاكل بين العلم والعمل في ديوانه ومنها قوله(٥١):

يـــا مَـــن رَأى لي عالِمـــاً عـــامِلاً فَـــأَلزَمُ الخِدمَـــةَ لِلعامِـــلِ

ان تركيز الالبيري على مسألة عمل العالم بعلمه والالحاح عليها بصورة متكررة في مقطوعات شتى من ديوانه، جاءت لتؤكد شعور الشاعر الاصيل في التواصل مع المجتمع، هذا التواصل يحدوه بأن يكون مقاوما للسلبيات المستشرية فيه، مخافة سؤال الله، وذلك يؤكد تحكم الوازع الديني العميق في نفس الالبيري(٥٢).

كما ان من يطالع الابيات سالفة الذكر، يجد فيها رسالة واضحة الدلالة، تشير الى ان العلوم التي يتعلمها الانسان يجب ان تنعكس على سلوكه وادبه، وتؤكد ان الجاهل لا معنى له بين افراد المجتمع من دون علم ينتفع به، فهو مفتقد وان كان موجود لعدم تأثيره في المجتمع، على عكس العالم الذي تبقى اثاره شاهدة عليه، وان غاب عن المجتمع.

وهذا الامر يؤشر الى قضية مهمة وهي ان الالبيري كان مؤمنا بدور العلم في بناء المجتمعات، معتقدا بكونه أساسا لتقدم الامم ورقيها، وانه ضرورة من ضرورات الحياة، حاثا على اكتسابه والتحلي به، فمن خلاله ينتشر الوعي بين الناس، ويجنبهم الوقوع في الاخطار والمصائب، ويمكنهم من محاربة الجهل والافكار الضالة المنحرفة، والوقوع في مهاوي الردى، جاء ذلك من منطلق إيمان ابي اسحاق الالبيري بواجبه الشرعي، ومسؤوليته اتجاه المجتمع.

ثالثاً: عمله بالقضاء:

ذكرنا سابقا ان ابا اسحاق الالبيري عمل كاتبا لدى قاضي غرناطة على بن محمد بن توبة(٥٣). ولا ينبغي ان نفهم من كلمة كاتب ما يُفهم منها اليوم في عالم الادارة، لأنها تتسع

لما هو اكثر من تدوين وتسجيل احكام القاضي، فهو شريكه في الرأي، وامينه ومساعده[٥٤].

وقد اضفى هذا العمل على شخصية الالبيري مزيدا من التأدب بآداب الشريعة، والتخلق بالأخلاق الجميلة، والخصال الحميدة، وحفظ المروءة، وعلو الهمة، والجري على سنن الهداية، ورفع شأن الدين، وترك الميل، والمحافظة على حدود الشرع والعدالة، ساعيا للصلاح والاصلاح، متجردا عن الميل والهوى والتحيز واصدار الاحكام المسبقة، يتوقى ما يشينه في دينه وعقله، او يحط من قدر منصبه وهيبته ومنزلته، مجانبا لكل مذموم، محترزا في كلامه عما يشينه، لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع، ولا يخاف في الله لومة لائم، مبتعدا عن أصحاب السرائر الملوثة بالخطيئة والمعصية، ومنكلا بهم.

وكان الالبيري معجبا بالقاضي ابن توبة متأثرا به، وعلاقته به وثيقة[٥٥]، وتعمقت هذه العلاقة مع مرور الوقت، حتى انه مدحه بقصيدة واثنى فيها عليه، مركزا على الجانب الديني والدنيوي في شخصيته خصوصا سياسته وعدله وذكائه[٥٦]، وذلك بقوله[٥٧]:

بِعَلِيٍّ بَنِ تَوبَةٍ فازَ قِدح ... وَسَمَت هِمَّتي عَلى الجَوزاءِ
فَهَنيئاً لَنا وَلِلدينِ قاضٍ ... مِثلُهُ عالِمٌ بِفَصلِ القَضاءِ
يَحسُمُ الأَمرَ بِالسِياسَةِ وَالعَد ... لِ كَحَسمِ الحُسامِ لِلأَعداءِ
لَو إِياسٌ يَلقاهُ قالَ اِعتِرافاً ... غَلِطَ الواصِفونَ لي بِالذَكاءِ

ويستمر الالبيري في مدحه لابن توبة، مؤكدا على فضله وفطنته وتفوقه على قضاة العالم، ويعده داهية عصره وزمانه، بل ويذهب في مدحه الى ابعد من ذلك، من خلال الجمع بين العلم والحلم، ورجاحة العقل، والكرم في شخصية ابن توبة، وجعله اوفى من السموأل الذي ضُرب به المثل في الوفاء، وزاد على ذلك بأن جعله مغرما بالوفاء، وذلك في قوله[٥٨]:

وَلَو أَنَّ الدُهاةَ مِن كُلِّ عَصرٍ ... خَبَروهُ دانوا لَهُ بِالدَهاءِ
أَو رَأَى أَحنَفٌ أَو أَحلَمُ مِنهُ ... حِلمَهُ ما اِنتَمَوا إِلى الحُلَماءِ
لَو رَأَى المُنصِفونَ بَحرَ نَداهُ ... جَعَلوا حاتِماً مِنَ البُخَلاءِ
هُوَ أَوفى مِنَ السَمَوأَلِ عَهداً ... وَلَما زالَ مُغرَماً بِالوَفاءِ

وَحَيـــا المُـــزن ذو حَيـــاءٍ إذا مـــا هَمَلَـــت كَفُّـــهُ بِوَبـــلِ العَطـــاءِ
يَشـــهَدُ العـــالِمونَ في كُـــلِّ فَـــنٍّ أَنَّـــهُ كَالشِـــهابِ في العُلَمـــاءِ
وَقُضـــاةُ الزَمـــانِ أَرضٌ لَدَيـــهِ وَهُـــوَ مِـــن فَـــوقِهِم كَـــأُفقِ السَـــماءِ
لَتَعَرَّضـــتُ مَدحَـــهُ فَكَـــأَنّي رُمـــتُ بَحـــراً مُســـاجِلاً بِالـــدِلاءِ

ولم يتوقف الالبيري عند هذا الحد، في الثناء على ابن توبة وتمجيده، والاطراء عليه، بل راح يتزلف ويتملق في المدح، ويتمادى فيه، الى درجة يحط بها من قدر نفسه، تذللا لممدوحه، فيجعل من خده حذاء لرِجل القاضي ابن توبة، ويجعل من فخاره وجماله بين الورى وبهائه، كلها في عبوديته للقاضي ابن توبة، وهذا تكلف وتصنُّع صريح، ومبالغة سافرة، ووضاعة لا تليق بالالبيري وتحسب عليه، بالإضافة إلى انه يتناقض مع ما وصف به نفسه من عزة وأباء وأنفة في عدد من قصائده، كما يتناقض مع إجماع المؤرخين في الاتفاق على سمو شخصيته وعلو همته ومنزلته الرفيعة ومكانته الراقية في مجتمعه، يتضح ذلك في قوله(٥٩):

فَأَنـــا مُفحَـــمٌ عَلـــى أَنَّ خَيلـــي لا تُجـــارى في حَلبَـــةِ الشُـــعَراءِ
لَكَســـاني بِمَجـــدِهِ ثَـــوبَ فَخـــرٍ طـــالَ حَتّـــى جَرَرتُـــهُ مِـــن وَرائـــي
وَلَـــو أَنصَـــفتُهُ وَذاكَ قَليـــلٌ كـــانَ خَـــدّي لِرِجلِـــهِ كَالحِـــذاءِ
فَأَنـــا عَبـــدُهُ وَذاكَ فَخـــاري وَجَمـــالي بَـــينَ الـــوَرى وَبَهـــائي
وَثَنـــائي وَقـــفٌ عَلَيـــهِ وَشُـــكري وَدُعـــائي لَـــهُ بِطـــولِ البَقـــاءِ

ولا نعرف لأبي اسحاق مدحا في رجل آخر في ديوانه او اخباره كالمدح الوارد في القصيدة سالفة الذكر(٦٠).

ولم يكتف الالبيري بالثناء على عمل القاضي، وانما راح يدافع عن سلك القضاء، مرسلاً لسانه سيفاً مُسلَطاً على كلِّ من يتطاول على العاملين في هذا السلك، فقد انبرى يدافع عن شيخه ابْن أبي زمنين- الذي ذكرناه سابقا- حين كان قاضيا لمدينة الالبيرة، ذاماً اولئك الذين تجرأوا على رفع شكوى ضده، من أهل إلبيرة هاجيا لهم بأقذع الالفاظ، وذلك بقوله(٦١):

رفعتم على قاضيكم فخفضتم ... وحاولتم خزيا لَهُ فخزيتم
وَطَالَ لعمري مَا سعدتم بسعده ... وَلَو أَنه يشقى إذن لشقيتم
وَمَا كَانَ إِلَّا ستركم لَو عقلتم ... وَلَكِنَّكُمْ عَن رشدكم قد عميتم
فها هُوَ ذَا يقْضِي على الرغم مِنْكُم ... فموتوا بغيظ واصنعوا كَيفَ شيتم
وحكوا على ظهر الصَّعِيد ستاهكم ... فَلَنْ تعشروه فِي العلى لَو خريتم

فهو يثني على القاضي ابْن أبي زمنين، ويعيب على الشاكين تصرفهم هذا ويهاجمهم لانهم لم يقدروا القاضي حق قدره، فيقول لهم انكم خفضتم من قدركم وباءت محاولتكم بالفشل، بعد ان حاولتم ان تخزوه، فارتدت اليكم سهامكم، وفي البيت الاخير تعبير فصيح عن عبارات عامية وعادات كانت معروفة في مثل هذه الاحوال (من التشفي والشماتة)[٦٢].

واستمر الالبيري بهجاء كل من يحاول الانتقاص من سلك القضاء، لذلك فبمجرد ان سمع شاعرا يدعى ابو بكر بن الحاج[٦٣]، تطاول على القاضي ابن توبة وجماعة من الفقهاء، وحاول الانتقاص منهم، ومن القضاء، عمد الى تصدى له بقصيدة هجاء مر وتشف ظاهر، بعد ان تبنى شاعرنا وجهة نظر الحكم القضائي الذي اصدره ابن توبة بحق ابو بكر بإقامة الحد عليه وذلك بقوله[٦٤]:

السَوطُ أَبلَغُ مِن قالٍ وَمِنِ قيلِ ... وَمِن نُباحُ سَفيهِ بِالأَباطيلِ
مُرُّ المَذاقِ كَحَرِّ النارِ أَبرَدُهُ ... يُعَقِّلُ المُتَعاطي أَيَّ تَعقيلِ

الى ان يقول:

وَقَد هجاهُ بِهَجوٍ مُؤلِمٍ وَجِعٍ ... لا يُشبِهُ الشِعرَ في نَظمٍ وَتَفصيلِ
فَقُل لَهُ إِن جَرى هَجوٌ بِخاطِرِهِ ... أُذكُر قِيامَكَ مَحلولَ السَراويلِ
وَاِذكُر طَوافَكَ في الأَسواقِ مُفتَضِحاً ... مُجَرَّداً خاشِعاً في ذُلِّ معزولِ
وَاِذكُر عُقوبَةَ ما زَوَّرتَهُ سَفَهاً ... في السادَةِ القادَةِ الشُمِّ البَهاليلِ
عِصابَةٌ عَظَّمَ الرَحمَنُ حُرمَتَها ... وَخَصَّها مِنهُ إِكراماً بِتَبجيلِ
هُمُ لُبابُ الوَرى حَقّاً وَغَيرُهُم ... عِندَ الحَقيقَةِ أَبقالُ الغَرابيلِ
إِنَّ اِبنَ تَوبَةَ فيهِم رافِعٌ عَلَماً ... مِنَ القَضاءِ وَمُمتازٌ بِإِكليلِ

قَضـــى بِتَنكيـــلِ مَـــن لَـــم يَـــرعَ حَقَّهُـــمُ وَحَصَّـــنَ الحُكـــمَ في هَـــذا بِتَســـجيلِ

فالناظر الى الهجاء الوارد في الابيات سالفة الذكر يلمح دفاعا واضحا عن القضاء ورجال الفقه، الذين ينشد فيهم المجتمع ضالته من القيم الفاضلة والاخلاق الكريمة، ويتلمس اشمئزازا جليا من التطاول عليهم، ورد السهام في صدور راميها، فهو يصف في هذه الابيات ضرب السياط واثرها في بدن ونفس ابي بكر بن الحاج، وعايره بذلك، وبيّن له ان تلك العقوبة هي جزاء هجاءه وحذره من طول لسانه ومن مغبة استرساله وتماديه مرة اخرى، وسرد فيها بعض فضائل القضاة والفقهاء عامة وابن توبة خاصة(٦٥).

وبذلك اثبت ابو اسحاق تشبثه بالقضاء ومعارضته لكل من يحاول التطاول عليه والمساس بسمعته، ومحاولة هدر هيبته، والقدح في نزاهته (٦٦). الا ان الالبيري فقد وظيفته ككاتب مع وفاة القاضي ابن توبة(٦٧).

ولعل عمل الالبيري ككاتب في دار القضاء ساعد في دخول بعض ألفاظ الكتابة كـ(السجل والنشر والختم وغيرها) تطفو في مسوح ديوانه كما في الابيات التي قال فيها(٦٨):

فَـــإذا مـــا اِنقَضَـــت سِـــنوكَ وَوَلّـــت فَصَـــلَ الحـــاكِمُ القَضـــاءَ فَـــأَبرَم

أَنـــتَ مِثـــلُ السِـــجلِّ يُنشَـــرُ حينـــاً ثُـــمَّ يُطـــوى مِـــن بَعـــدِ ذاكَ وَيُختَـــم

نستنتج مما سبق ان دفاع الالبيري عن القضاء لم يأتي من فراغ وانما جاء عن فهم واضح لمقاصد الشريعة ودور القضاء في اصلاح المجتمع، ولعلّ من أجمل العبارات التي تُسمع أو تُقال في هذا الموضوع هي عبارة رئيس وزراء بريطانية ونستون تشرشل الذي قال: "حين علمتُ بأنّ قضاء الدّولة البريطانية بخير، أدركتُ أنّ بريطانيا باتت بألف خير"، وما كانت هذه الكلمات لتخرُج منْ فم هذا الرجل إلّا وقد خبر ما تعنيه السُلطّة القضائية والقضاء بشكل عام للدّولة وأفرادها، وأن إصلاح القضاء هو الأساس في إصلاح الدولة، وإعادة هيبتها، وحماية المال العالم، ورفع الظلم والاستغلال عن كاهل المواطنين، بالإضافة إلى حماية الحريات من العبث والفوضى، وعلى أبناء المُجتمع احترام القضاء واحترام سلطته والالتزام التام بأحكام القانون اذا ما اردوا إقامة العدل وإشاعته بين الناس.

ثالثاً: عدم تكيفه مع الواقع المحيط به:

عرَّف النفسانيون التكيف بأنه: "عملية ديناميكية مستمرة يهدف بها الشخص إلى تغيير سلوكه، ليحدث علاقة أكثر توافقًا بينه وبين البيئة"(٦٩). والأصل في الفطرة الإنسانية الاستقامة، لذلك تجدها تنجذب لا شعورياً إلى ما يدعوها إلى القيم الفاضلة النبيلة، وقد يتأكد هذا الاتجاه كلما تكرّرت الدعوة، أو حدثت الأجواء الملائمة لذلك.

لكن حين تنقلب الموازين ويبتعد المجتمع عن قيم السماء، ويصيبه التفكك والانحراف، وينخره الفساد، ويبتعد عن القرآن، وآياته، وعن حكمه ومواعظه، يصبح هذا المجتمع طاردا لدعوات الاصلاح، نابذا للشخصيات الخيرة ولا يطيق التعايش معها، بل اكثر من ذلك فهو يجد فيمن يتبنون الاصلاح تحدياً له، لأنه يخاف منهم، ولهذا يتحوّل ردُّ فعل المجتمع إلى مواجهةٍ عنيفةٍ مع هؤلاء، وممارسة كل الأساليب السلبية ضدّهم والتهديد بطردهم وقتلهم، بعيداً عن كل حوارٍ أو لقاءٍ للحوار، وهذا هو حال المصلحين وعلى امتداد التاريخ، لذلك غالبًا ما يتعرضون الى القتل والتشريد او يصابون بالإحباط ويشعرون بالعجز ما يدفعهم إلى الاستكانة والعزلة والانطواء، واللجوء الى عالم خيالي للعثور على ما فقدوه في الحياة من آمال وطموحات.

ويعد الالبيري احد هؤلاء الذين سلكوا هذا المسلك وفضل العزلة والانزواء، على العيش في بيئة حافلة بالصراعات السياسية والتفكك الاجتماعي والانحطاط الخلقي، وضعف القيم المجتمعية، ونسيان الاوامر والنواهي الدينية، لذلك نجده يقول(٧٠):

فَمِنَ الرَأيِ أَن تَكونَ جَبانـاً ... سامِرِيّاً يَدينُ بِالإِنزِواءِ

فقد آثر الالبيري الانزواء والانطواء والنأي بنفسه عن مفاسد المجتمع، وهذا التصرف من وجهة نظر علم النفس هو مظهر من مظاهر الدفاع عن النفس ضد العالم الخارجي، فالشخصية الانطوائية تكون أكثر تحفظا وأقل صراحة، وتستمتع بالنشاطات الفردية، مثل القراءة والكتابة، بل إنه من الشائع أن يكون العلماء والمخترعون والأدباء والفنانون والمؤلفون ذوو شخصية انطوائية حادة، ومن الخطأ الظن بأن الانطواء هو خجل أو نتيجة له، أو أن الشخص الانطوائي منفي من المجتمع والناس من حوله؛ إنما الانطواء يتضمن تفضيل النشاطات الانفرادية عن مثيلها الاجتماعية(٧١).

فالالبيري وان كان اجتماعيا في طبعه، ومشاركته للمجتمع وان غدت اثيرة لديه – اذ حاول التأكيد عليها في مسوح ديوانه الشعري – الا ان المجتمع بآثاره السلبية بعث في نفسه العزلة والانطواء(٧٢). لذلك نراه يقول(٧٣):

وَخَـــف أَبنـــاء جِنسِـــكَ وَاِخـــشَ مِنـــهُم كَمـــا تَخشـــى الضَـــراغِمَ وَالسَـــبَنتى

وَخـــــالِطهُم وَزايلـــــهُم حِـــــذاراً وَكُـــــن كالســـــامِرِيِّ إِذا لَمِســـــتا

فالإنسان المؤمن الشريف العفيف لا يستطيع التكيف والتعامل مع المحيط الاجتماعي الملوث بالآثام، وهذا الحال ينطبق على الالبيري الذي كان يطمح الى العيش في كنف مجتمع مثالي نموذجي، تسوده القيم الفاضلة، والاخلاق الحميدة، لكن سوء حظه جعله يتعايش مع واقع اجتماعي غابت عنه القيم، وافلت فيه الاخلاق، تتقاذفه الأهواء والشهوات الجامحة، والنزوات والرغبات المذلة، لذلك فهو كان بين اختيارين احلاهما مر، اما النجاة بنفسه والهجرة والابتعاد عن الاهل والاوطان، وما يترتب على ذلك من عناء ومشقة وخطورة، واما التقوقع على النفس والانكفاء على الذات من اجل الحفاظ على مبادئه السامية، وفي كلتا الحالتين تدفعه رغبة في الخلاص من براثن الآثام التي وقع فيها المجتمع الاسلامي الاندلسي من نزعات اجتماعية منحرفة عن القيم والمثل العليا التي نادى بها الاسلام، كما ذكرنا ذلك سابقا.

هذه الظروف قد أسهمت أعظم إسهام في نزوع الالبيري نحو الاغتراب؛ وهذا الشعور ليس بالغريب على الطبيعة الانسانية، فهو حالة طبيعية يمر بها كل مؤمن ملتزم مرهف الاحساس يعيش تحت وطأة ظروف سيئة، كتلك الظروف التي كانت تمر بها الاندلس آنذاك، من تدهور للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والصراعات الفكرية والعقدية، والتدهور الخلقي، وكلما عظم الخطب زاد الانكفاء في داخل الالبيري، وكَبُر الشعور بالاغتراب لديه، لذلك نجده يقول(٧٤):

قَـــد جَـعَـــلَ البَـيـــتَ كَـقَـبـــرٍ لَـــهُ وَبُـــــردُهُ فـــيـــــهِ لَـــهُ كَـــالكَـفَـــــن

فالالبيري يرسم هنا صورة حسية لاعتكاف الزاهد في البيت وحيدا، في صورة اقرب ما تكون للقبر، فالوحدة والوحشة قاسمهما المشترك، والبردة تقاسم الكفن في ارتباطها بالجسد، وجمال التشبيه هنا يكمن في كون الشاعر يجعلك تعمل العقل في ادراك العلاقة

الخفية بين البيت والقبر، وبين البردة والكفن[٧٥].

ورغم قسوة هذه الصورة التي يرسمها الالبيري، الا انها بالنسبة له افضل بكثير من الاحتكاك بالمجتمع والتأثر بما وصل اليه من انحراف، وابتعاد عن قيم السماء، لذلك عمد الى اقْتِصارِ كَلَامه عَلَى مَا يُقِيمُ حُجَّتَه، وَيُبَلِّغُ حَاجَتَه فقط، متمسكا بالحكمة القائلة: (اعْقِلْ لِسَانَك إِلَّا عَنْ حَقٍّ تُوَضِّحُهُ، أَوْ بَاطِلٍ تَدْحَضُهُ، أَوْ حِكْمَةٍ تَنْشُرُهَا، أَوْ نِعْمَةٍ تَذْكُرُهَا)[٧٦].فـ"خيرُ الكلامِ ما دلّ على هُدًى، أو نَهَى عَنْ رَدًى"[٧٧]. فالفقيه هو الذي أَنْطَقَتْه الخشية، وأسْكَتَتْه الخشية، إنْ قالَ قالَ بالكتاب والسنة، وإنْ سَكَتَ سَكَتَ بالكتاب والسنة[٧٨].

فالاغتراب عند الالبيري يعبر في تضاعيفه عن عدم تكيفه مع الواقع المحيط به، وعدم الرضا عنه، ورفض الرسوم المنطمسة السائدة ومحاربتها، فأتجه الى الشعر لبث آرائه وافكاره ومخزونه الثقافي، منسحبا عن جلب الحياة وضوضائها، ومباهجها وزخارفها الفاتنة، سالكا مسلك الثورة والتمرد والاحتجاج، لأنه يرى مسافة شاسعة بين الواقع والمطلوب[٧٩]. لذلك تجده يقول[٨٠]:

أَلِفْتُ العُقَابَ حِذارَ العِقابِ ... وَعِفْتُ المَوارِدَ خَوفَ الذِئابِ

ففي هذا البيت يشير الى عزلته عن العالم في حصن العقاب بعد نفيه من قبل باديس بن حبوس، ويذّكر ان عزلته عن الناس كانت تجنبا لما قد يلحقه من ضرر من اولئك البشر الذين شبههم بالذئاب، وتجنبا لكل ما قد يؤدي به الى المخالفة، فاصبح الانعزال عن المجتمع حتمية تفرضها عليه مفاهيمه الدينية، فهو انعزل عن المجتمع، لأنه يريد الانعزال عن المعصية والكفر، وهذه العزلة تعبير عن رؤية اجتماعية نتيجة الضعف السياسي الذي عايشه الشاعر في عصر ملوك الطوائف.

ثم يكرر نفس المعنى السالف الذكر في مقطوعة اخرى يقول فيها[٨١]:

أَلا حَيِّ العُقابَ وَقاطِنيهِ ... وَقُل أَهلاً بِهِ وَبِزائِريهِ

حَلَلتُ بِهِ فَنَفَّسَ ما بِنَفسي ... وَأَنَّسَني فَما اِستَوحَشتُ فيهِ

وَكَم ذيبٍ نُجاوِرُهُ وَلَكِن ... رَأَيتُ الذِئبَ أَسلَمَ مِن فَقيهِ

فقد اختار الشاعر الطريق الذي يناسبه في الحياة، وقدم تجربة عملية لرفضه فساد المجتمع الاندلسي عصر ملوك الطوائف فاعلن غربته وانقطاعه عن هذا الجو الفاسد فاستقر في حصن العقاب وترك الاصدقاء تجنبا لأناس الذئاب اسلم منهم خصوصا الفقهاء الذين انساقوا وراء حب الدنيا وملذاتها فهو لا يريد ان يختلط بهؤلاء لسوء افعالهم فاصدر قرارا اعلن فيه ان الوحدة هي الخلاص من كل هذه الآثام، كما اجاد الشاعر في الابيات السابقة من خلال تقديم صورة تعبيرية استخدمها ليبرر بها سبب عزلته عن الناس في تلك الفترة، وان عزلته لم تكن سلبية بل كانت قائمة على اسس ومبررات نفسية واجتماعية(٨٢).

ان عدم تكيف الالبيري مع الواقع المحيط به، جعله يتحسر على ما مضى، ويحزن على ما فات، باكياً على ما سلف من الحياة، متذكرا تلك الأيام الخوالي في مدينته الالبيرة التي خُربت، واقفا على اطلالها متأسفا على حياة ضاعت ومدينة دمرت، بعد ان كانت محط رحال العلماء وطلبة العلم فهو يقول(٨٣):

وَكَـــم مِـــن نَجيـــبٍ أَنجَبَتـــهُ وَعـــالِمٍ	بِـــأَبوابِهِم كانَـــت تُنـــاخُ الرَكائِـــبُ
كَـــم بَلَغَـــت فيهـــا الأَمـــاني وَقُضِّـــيَت	لِصَـــبٍّ لُبانـــاتٌ بِهـــا وَمَـــآرِبُ
لَعَهـــدي بِهـــا مُبيَضَّـــةَ اللَيـــلِ فَاغتَـــدَت	وَأَيّامُهـــا قَـــد سَـــوَّدَتها النَوائِـــبُ
وَمـــا كـــانَ فيهـــا غَـــيرُ بُشـــرى وَأَنعُـــمٍ	فَلَـــم يَبـــقَ فيهـــا الآنَ إِلّـــا المَصـــائِبُ
وَأَيـــنَ بِحـــارُ العِلـــمِ وَالحِلـــمِ وَالنَـــدى	وَأَيـــنَ الأَكُـــفُّ الهامِيـــاتُ السَـــواكِبُ
وَأَن قَـــد قَسَـــت أَكبـــادُكُم وَقُلـــوبُكُم	وَمـــا مِـــنكُم داعٍ إِلى اللَـــهِ راغِـــبُ
لَشَـــكلُكُمُ أَولى وَأَجـــدَرُ بِالبُكـــا	عَلـــى مِثلِـــهِ حَقّـــاً تَقـــومُ النَـــوادِبُ

يتبين لنا من خلال هذه المقطوعة ان شاعرنا تحدث عما انتابه من الوحدة والوحشة والسقم والحزن، فقضى ردحا من الزمن في صراع محتدم مع الحياة، التي حاول فيها فرض نفسه على الواقع المجتمعي الذي ابتعد كثيرا عن القيم، فهو يصف في هذه الابيات ما حل بالمجتمع الاندلسي من المصائب والويلات، وما ادى الى خيبة الامل والاماني الحلوة، وانعدام الامن والسلام، وفقدان الاحبة والاصحاب من العلماء الفضلاء والفقهاء النجباء، واهل الحلم والكرم، ولم يجد من خلال ذلك مخرجا ومنفسا للأشجان المنطوية والالم المكبوت والمشاعر الدفينة، سوى البكاء والندب والتحسر(٨٤).

وإذا امعنا النظر في شعر الالبيري نرى انه كان مغتربا بين ابناء جنسه، رغم انه كان يعيش معهم، وهذا الامر يحدث لكثير من البشر فتجده يعيش مع ابناء جلدته ويعاملهم ويخالطهم، الا انه يبقى غريبا بينهم منعزلا عنهم، ولا عجب في ذلك، لان الانسان عندما يشعر بأن المجتمع لا يتفق وافكاره وميوله واتجاهاته، قولا وفعلا ويحاول الطرد والكبت والمخاصمة يضطر الى ان ينجو بنفسه حتى يأمن من الاذى ويستريح باله، وهذا ينطبق على شاعرنا الالبيري، الذي لم يوفق للانصهار في المجتمع وتياره الفكري والثقافي، او ان يتجانس معه واتجاهاته في مختلف المستويات فبقى منعزلا منفردا، وهذا النمط من الاغتراب هو محاولة الذات التغلغل في قلب الحقيقة، دون ان يمسها ابتذال الواقع واستبطان المحسوس[٨٥]. وعلى هذا الاساس نجده يقول:[٨٦]:

وَلَـــم أَجـــزَع لِفَقـــدِ أَخٍ لِـــأَني ... رَأَيـــتُ المَـــرءَ يُـــؤتى مِـــن أَخيـــهِ

وَأَيأَســـني مِـــنَ الأَيّـــامِ أَنّـــي ... رَأَيـــتُ الوَجـــهَ يَزهَـــدُ في الوَجيـــهِ

فَـــآثَرتُ البِعـــادَ عَلـــى التَّـــداني ... لِأَنّـــي لَـــم أَجِـــد مَـــن أَصـــطَفيهِ

ففي هذه الابيات يتضح جليا نمط الصراع المرير والمحتدم بين ذاته الطامحة للعالم النموذجي المثالي المفقود، والبيئة المحيطة الملوثة بالمفاسد والآثام، ومظاهر هذا الصراع تبرز في عدم تكيفه مع الواقع المحيط به، وشعوره بعدم الانتماء، والقلق وفقدان المعنى، ومركزية الذات، والانعزال الاجتماعي.

فذات الالبيري المثالية تبحث عن الصدق والوضوح في التعامل مع الناس وتبتعد عن كل ما يخالف مبادئها، لذلك نجد ان الانحلال السياسي والاجتماعي جعله يحترز في اصطفاء اصحابه ويطرح اولئك الذين لا يتماشون ونظرته مما بث في نفسه روحا انعزالية اختطها سلوكا في مواجهة الشرور المتفشية في الناس[٨٧].

وهذا ما دفعه الى عد الدنيا بمثابة السجن الذي أُسر فيه الانسان ولا يستطيع ان يخلص نفسه منه، الا من خلال اتباع المثل الدينية والشعائر الاسلامية فهي الطريق الوحيد لفلاح الانسان في الدنيا الفانية[٨٨]، وذلك بقوله[٨٩]:

سُـــجِنتَ بِهـــا وَأَنـــتَ لَهـــا مُحِـــبٌّ ... فَكَيـــفَ تُحِـــبُّ مـــا فيـــهِ سُـــجِنتا

لكل ما تقدم يمكننا ان نؤكد ان نتاج الالبيري، وثيق الصلة بنشأته الدينية وعمله بسلك القضاء وعدم تكيفه مع الواقع الاجتماعي الفاسد المستشري آنذاك، وانشغال ذهنه بأمور فقهية وعظية واجتماعية إصلاحية وكلها هذه الامور على صلة بالشريعة وتطبيقاتها، وطرائق فهمها، ومسالك الأخذ بها والاعتراض عليها؛ ولا غرابة في ذلك، إذ نشأ الشاعر نشأة دينية علمية ملتزمة تأبى الخطيئة وتتجنب المعصية.

كما ان المتصفح لديوان الالبيري يرى انه قد تناول موضوعات متنوعة في شعره حيث لم يقتصر على الجوانب الدينية والانسانية فقط بل قدم شعرا تناول الحياة الاجتماعية والسياسية، مما يدل على ان انقطاعه الزهدي وعزلته لم تكن عزلة سلبية الطابع، وانما كانت من اجل رفض الظواهر السلبية في المجتمع، وكان يهدف منها الى الاصلاح السياسي والمجتمعي[٩٠]، وهذا ما سوف يتضح لنا في المبحث الثاني "البواعث الخارجية".

الخاتمة:

في خاتمة بحثنا هذا توصلنا الى جملة من النتائج نختم بها - بأذن الله تعالى - ثمرة هذا الجهد المتواضع، والتي يمكن ايجازها بالآتي:

١- اثبت الالبيري من خلال قصائده ومنهجه النقدي فيها انه لم يكن زاهدا متقوقعا منعزلا عن الحياة الاجتماعية والسياسية، بل شارك فيها جميعا، مما يؤكد ابداعه الشعري.

٢- كان ابو اسحاق الالبيري شاعرا مجيدا في تناوله لضروب المعرفة المختلفة من تأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف والحكم والامثال وتأثر بالبلاغة والنقد، فهو يستحق لقب الشاعر ثم لقب الزاهد العابد، لأنه كان فعلا متحليا بالعلم والورع والزهد والصلاح والتقوى.

٣- توجه أبو إسحاق الإلبيري بهمة عالية إلى ذم الدنيا ومباهجها في محاولة للإصلاح الاجتماعي انطلاقا من النفس، من داخل الانسان ووجدانه في زمن اضطربت فيه المعايير وانغمس الناس في دنياهم.

٤- دأب ابو اسحاق الالبيري على التحذير والتنبيه الى مواطن الخلل، ولم يكتف

بذلك بل اعطى وصف العلاج للتخلص من كل ذلك، من خلال الإقلاع عن الذنوب والتخفيف من ثقل المعاصي، بالدعوة إلى التوبة والاستقامة في الحياة الدنيا والتخلق بأخلاق الإسلام فالإنسان متوقّع منه الخطأ والذنب، لكن المطلوب من المذنب التوبة والكف عن ارتكاب الآثام وعدم العودة إليها.

٥- اكد الالبيري على دور العلم وفضله في حياة المجتمع، محذرا من الجهل وما يسببه من ضياع وفساد، فقد كان مؤمنا بدور العلم في بناء المجتمعات، معتقدا بكونه أساسا لتقدم الامم ورقيها، وانه ضرورة من ضرورات الحياة، حاثا على اكتسابه والتحلي به، فمن خلاله ينتشر الوعي بين الناس، ويجنبهم الوقوع في الاخطار والمصائب، ويمكنهم من محاربة الجهل والافكار الضالة المنحرفة، والوقوع في مهاوي الردى، جاء ذلك من منطلق إيمان ابي اسحاق الالبيري بواجبه الشرعي، ومسؤوليته اتجاه المجتمع.

٦- ان الشعر الاجتماعي عند الالبيري اخلاقي المبدأ علمي المذهب فقد اولى عناية كبيرة بالأخلاق والعلم باعتبارهما وسيلة الخلاص الحقيقية، والرخاء والعمران لا يتمَّان إلاّ باستنبات هذه الفضائل، فزيَّن مقطوعاته الشعرية بألفاظ ذات بعد اخلاقي، رفض فيها كل انواع الجهل واشكال الضعف والاضطهاد والخيانة والاستسلام، في مشروع علمي اخلاقي ثقافي.

٧- كان ابو اسحاق الالبيري داعيا الى رفع الظلم عن الناس وتلطيف سلوك المندفعين منهم الى ملاذ الحياة وشواغلها وبهرجها والاشراف عليها في وقت يتطلب التقشف والجهاد والمجاهدة والجد.

هوامش البحث

(١) ينظر: قضايا الذات الشاعرة في شعر ابي اسحاق الالبيري، عبدالجواد شعبان الفحام، مجلة الدراسات العربية العدد (١٢)، المجلد (٢)، ٢٠٠٥: ٣٥٩.

(٢) ينظر: اللغة في شعر الزهد عند ابي اسحاق الالبيري الاندلسي: ٩٥.

(٣) الديوان: ٤٩.

(٤) الديوان: ٢٥.

(٥) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري الإفريقي، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ: ٦٨/٧

(٦) يعدّ التراث الديني مصدرا خصباً للإلهام الشعري عند الشعراء؛ إذ يستمدّون منه نماذج وصورا وموضوعات مختلفة والقرآن الكريم - كان ولا يزال - في مقدمة المصادر الإسلاميّة التي تعامل معها الشعراء العرب، يليه الحديث النبوي الشريف، ولعلّ السبب الرئيس في نزوع الشعراء والأدباء إلى توظيف التراث الديني في شعرهم يعود إلى خاصيّة جوهريّة في هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي إنّها ممّا ينزع الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكّره، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كلّ العصور تحرص على الإمساك بنصٍّ إلّا إذا كان دينيّاً أو شعريّاً، فالتراث الديني يعزّز القوة الشاعريّة، ويدعم استمرار الشعر وخلوده في الذاكرة. ينظر: صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبيّة، ط١، مؤسسة مختار للنشر، القاهرة، ١٩٨٧: ٥٩؛ استلهام الحديث النبويّ في شعر أبي إسحاق الإلبيري: ٢٥٨.

(٧) ينظر: التناص القرآني في شعر أبي إسحاق الإلبيري: ١٦/٢٧ - ١٧.

(٨) الديوان: ٢١.

(٩) سورة الانبياء، الآية: ٨٧.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(١١) الديوان: ٧٦.

(١٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(١٣) سورة ال عمران، الآية: ١٤٤.

(١٤) الديوان: ٨٢.

(١٥) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(١٦) الديوان: ٣٠.

(١٧) الديوان: ٣٢.

(١٨) سورة القارعة، الآية: ٦-٩.

(١٩) ينظر: اللغة في شعر ابي اسحاق ابراهيم الالبيري، نافع محمد خلف، مجلة الآداب، كلية الآداب جامعة بغداد، العدد(٥٦)، ٢٠٠١: ٢٤٠.

(٢٠) ينظر: اللغة في شعر الزهد عند ابي اسحاق الالبيري الاندلسي: ١٠٣.

(٢١) ينظر: استلهام الحديث النبويّ في شعر أبي إسحاق الإلبيري: ٢٥٧ – ٢٥٨.
(٢٢) الديوان: ٤٢.
(٢٣) بحار الانوار: ٢١٨/٦ و ١٤٨/٧٥.
(٢٤) ينظر: استلهام الحديث النبويّ في شعر أبي إسحاق الإلبيري: ٢٥٨.
(٢٥) الديوان: ٥٨.
(٢٦) النوادر، السيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الحسني الراوندي، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري، مؤسسة دار الحديث، قم المقدسة، ١٣٧٧هـ: ٩٩؛ بحار الانوار: ٧/٦.
(٢٧) الديوان: ٣١.
(٢٨) بحار الانوار: ١٨٠/٦٨.
(٢٩) الديوان: ٢٦.
(٣٠) الديوان: ٤٦.
(٣١) ينظر: شعر السميسر الاندلسي (صوت المعارضة) الرؤية والاداة: ٢٣
(٣٢) ينظر: اللغة في شعر الزهد عند ابي اسحاق الالبيري الاندلسي: ١٠٦.
(٣٣) ينظر: قضايا الذات الشاعرة في شعر ابي اسحاق الالبيري: ٣٥٩.
(٣٤) ينظر: اللغة في شعر ابي اسحاق ابراهيم الالبيري: ٢٥٢.
(٣٥) ينظر: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري (دراسة موازنة): ٤١. الزهد وبواعثه عند ابي العتاهية وابي اسحاق الالبيري، اميرة بريهوم، مجلة افاق للعلوم، العدد(١١)، ٢٠١٨: ١٧٩.
(٣٦) ينظر: الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشعكة، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٣: ٧٥.
(٣٧) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ٦٠.
(٣٨) الديوان: ٢٥.
(٣٩) الديوان: ٢٦.
(٤٠) الديوان: ٢٦.
(٤١) الديوان: ٢٥.
(٤٢) ينظر: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري(دراسة موازنة)، محمود لطفي نايف عبدالله، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩: ٧٣.
(٤٣) الديوان: ٢٥.
(٤٤) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ٦١.
(٤٥) الديوان: ٢٦.
(٤٦) الديوان: ٢٦.

(٤٧) الديوان: ٢٧ – ٢٨.
(٤٨) سورة الاسراء ، الآية: ١٦.
(٤٩) ينظر: التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري(دراسة موازنة): ٧٤.
(٥٠) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ٦٠ – ٦٢.
(٥١) الديوان: ٦٦.
(٥٢) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ٦٢.
(٥٣) ينظر: الديوان: ٩.
(٥٤) ينظر: دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة:٧٧.
(٥٥) ينظر: الديوان: ٩.
(٥٦) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ٢١.
(٥٧) الديوان: ٩٨ – ٩٩.
(٥٨) الديوان: ٩٩.
(٥٩) الديوان: ٩٩ – ١٠٠.
(٦٠) ينظر: الديوان: ٩.
(٦١) الديوان: ١٢٢.
(٦٢) ينظر: الديوان: ١٢١ – ١٢٢.
(٦٣) ابو بكر عبدالرحمن بن الحاج الالبيري كان شاعرا مجيدا هجا القاضي ابا الحسن بن توبة قاضي غرناطة فضربه القاضي ضربا وجيعا وطيف به في اسواق غرناطة ينظر: الاحاطة: ٢٥/٢؛ الديوان: ١٢٤.
(٦٤) الديوان: ١٢٥ – ١٢٧.
(٦٥) ينظر: دلالات الالفاظ الاسلامية في ديوان ابي اسحاق الالبيري، الزهراء محمدي، واخرون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة ادرار، الجزائر، ٢٠١٨: ٢٦.
(٦٦) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ٢١.
(٦٧) ينظر: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات في الأندلس: ٣٥٤.
(٦٨) الديوان: ٥٧.
(٦٩) مجالات علم النفس مصطفى فهمي،، دار مصر للطباعة، القاهرة، (د.ت): ٤٢.
(٧٠) الديوان: ٩٧.
(٧١) ينظر: مشكلة الانسان، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٠: ٢٢.
(٧٢) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ١٠٨.
(٧٣) الديوان: ٣٤.
(٧٤) الديوان: ١١٤.

(٧٥) قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري، عبدالحميد جودي، مجلة قراءات، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العدد الثاني، ٢٠١٠: ٣٤٩.

(٧٦) أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٥: ٢٧٥.

(٧٧) بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨١: ٦/١.

(٧٨) طبقات الحنابلة، أبو الحسين محمد بن الحسين بن أبي يعلى الحنبلي(ت ٥٢٦هـ)، تحقيق: ابو حازم اسامة بن حسن وابو الزهراء حازم علي بهجت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧: ١٣٠/٢.

(٧٩) ينظر: هاجس الغربة عند ابي اسحاق الالبيري: ١٢- ١٣.

(٨٠) الديوان: ٧٢.

(٨١) الديوان: ٨٣.

(٨٢) ينظر: قضايا الذات الشاعرة في شعر ابي اسحاق الالبيري: ٣٩١.

(٨٣) الديوان: ٨٦ - ٨٧.

(٨٤) ينظر: هاجس الغربة عند ابي اسحاق الالبيري: ١٧.

(٨٥) ينظر: هاجس الغربة عند ابي اسحاق الالبيري: ١٥ - ١٧.

(٨٦) الديوان: ٨٤.

(٨٧) ينظر: ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره: ١١١.

(٨٨) ينظر: هاجس الغربة عند ابي اسحاق الالبيري: ٢١.

(٨٩) الديوان: ٢٩.

(٩٠) ينظر: قضايا الذات الشاعرة في شعر ابي اسحاق الالبيري: ٣٦٢ و ٣٩٥

قائمة المصادر والمراجع

١. ابو اسحاق الالبيري الفقيه الزاهد دراسة في شعره وفكره، سامر طلعت توفيق ابو لبدة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة اليرموك، ٢٠٠٣.

٢. الاحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤.

٣. الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشعكة، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٣: ٧٥.

٤. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت، ١٩٨٥.

٥. استلهام الحديث النبويّ في شعر أبي إسحاق الإلبيري، سلمان حطاب، و رودان مرعي، وغصن كبابة، مجلة جامعة تشرين، الآداب والعلوم الإنسانية المجلد ٤١، العدد ٤، اللاذقية، سورية، ٢٠١٩.

٦. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي " قدس الله سره"، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

٧. بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨١.

٨. تاريخ الادب العربي عصر الدول والامارات الاندلس، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩.

٩. التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري (دراسة موازنة)، محمود لطفي نايف عبدالله، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩.

١٠. التناص القرآني في شعر أبي إسحاق الإلبيري، سليم ساعد السلمي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد (٤٧)، ٢٠١٧

١١. دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والفلسفة، الطاهر احمد مكي، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

١٢. دلالات الالفاظ الاسلامية في ديوان ابي اسحاق الالبيري، الزهراء محمدي، واخرون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب واللغات، جامعة ادرار، الجزائر، ٢٠١٨.

١٣. ديوان ابي اسحاق الالبيري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩١.

١٤. الزهد وبواعثه عند ابي العتاهية وابي اسحاق الالبيري، اميرة بريهوم، مجلة افاق للعلوم، العدد(١١)، ٢٠١٨.

١٥. شعر السميسر الاندلسي (صوت المعارضة) الرؤية والاداة، حافظ المغربي، ط١ ، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت ، ٢٠٠٦.

١٦. صلاح فضل، إنتاج الدلالة الأدبيّة، ط١، مؤسسة مختار للنشر، القاهرة، ١٩٨٧.

١٧. طبقات الحنابلة، أبو الحسين محمد بن الحسين بن أبي يعلى الحنبلي(ت٥٢٦هـ)، تحقيق: ابو حازم اسامة بن حسن وابو الزهراء حازم علي بهجت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.

١٨. قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري، عبدالحميد جودي، مجلة قراءات، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العدد الثاني، ٢٠١٠.

١٩. قضايا الذات الشاعرة في شعر ابي اسحاق الالبيري، عبدالجواد شعبان الفحام، مجلة الدراسات العربية العدد (١٢)، المجلد (٢)، ٢٠٠٥.

٢٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري الإفريقي، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ه.

٢١. اللغة في شعر ابي اسحاق ابراهيم الالبيري، نافع محمد خلف، مجلة الآداب، كلية الآداب جامعة بغداد، العدد(٥٦)، ٢٠٠١.

٢٢. مجالات علم النفس مصطفى فهمي،، دار مصر للطباعة، القاهرة، (د.ت).

٢٣. مشكلة الانسان، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٠.

٢٤. النوادر، السيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله بن علي الحسني الراوندي، تحقيق: سعيد رضا علي عسكري، مؤسسة دار الحديث، قم المقدسة، ١٣٧٧ه: ٩٩؛

٢٥.هاجس الغربة عند ابي اسحاق الالبيري، عباس يداللهي فارساني وزينب رضابور، دراسات الادب المعاصر، العدد الرابع والعشرين، ١٣٩٣.